

الحلقة الثالثة والأربعون

سلسلة رمز وحقيقة

أنوار كاشفة

سفر النبي دانيال (٤)

رؤيا: ابن الإنسان مع سحب السماء

صديقي المستمع ، مازلنا ندرس أسفار الأنبياء في العهد القديم من الكتاب المقدس. وهي الأسفار التي احتوت على العديد من النبوءات ، التي تحدثت عن خلاص الله الذي سيُعلن، والمسيح المخلص الآتي.

وكنا قد بدأنا قبل ثلاثة لقاءات بدراسة سفر النبي دانيال . فتأملنا بحلم التمثال وتفسيره ، وكيف تعاقبت أربع ممالك حتى مجيء المسيح. ثم درسنا نبوءة السبعين أسبوعا التي كشفت عن موعد المجيء الأول للمسيح بالضبط . وفي اللقاء الماضي تأملنا بحادثة إنقاذ الله لشدرخ وميشخ وعبد نغو من أتون النار المتقدة ، أمام دهشة الملك نبوخذنصر ورجاله . وتبين لنا أن الذي ظهر يتمشى معهم في وسط النار ، كان المخلص المسيح قبل تجسده.

أما اليوم فسندرس نبوءة أخرى أعلنها الله للنبي دانيال في حلم . وهذه النبوءة مشابهة لحلم التمثال الذي رآه الملك نبوخذنصر . هذا الحلم الذي كان الله قد كشفه للنبي دانيال مع تفسيره. وكنا قد علمنا من حلم التمثال ، أن أربع ممالك ستقوم إلى أن يأتي الملك المسيح . وشبهه الحلم كل مملكة بأحد أجزاء التمثال ، أولا الرأس، ثانيا الصدر والذراعان ، ثالثا البطن والفخذان ، وأخيرا الساقان والقدمان.

أما في الحلم الذي رآه النبي دانيال ، والمدون في الأصحاح السابع من سفره ، فلقد شُبِّهت هذه الممالك الأربع ، بأربعة حيوانات . إذ رأى النبي دانيال أربعة حيوانات عظيمة تصعد من البحر. الحيوان الأول كالأسد وله جناحا نسر ، وهو يشير إلى المملكة الأولى ، البابلية. والحيوان الثاني شبيه بالدب ، ويشير إلى المملكة الثانية ، الفارسية . والحيوان الثالث مثل النمر ، ويشير إلى المملكة الثالثة ، اليونانية. أما الحيوان الرابع فكان حيوانا هائلا وقويا جدا، وله أسنان من حديد كبيرة . وكان مخالفا لكل الحيوانات التي قبله ، وله عشرة قرون. وكما علمنا من حلم التمثال فإن هذا الحيوان يشير إلى المملكة الرابعة الرومانية. وكما ذكرنا سابقا، فلقد تعاقبت هذه الممالك الأربع في التاريخ القديم ، إلى أن أتى الملك المخلص المسيح، في زمان الإمبراطورية الرومانية ، وبدأ ملكوت الله . ثم كشف الله في هذا الحلم للنبي دانيال، عن الاضطهاد الفظيع الذي سيقوم به أحد الأباطرة الرومان ضد المؤمنين بالمسيح ، وعن نهاية الإمبراطورية الرومانية . وهو ما حصل في التاريخ أيضا.

لكن ما يهمننا نحن من دراستنا لهذا الحلم، هو ما أعلنه الله للنبي دانيال عن الملك المخلص يسوع المسيح. فقد دونّ النبي دانيال في الأصحاح السابع ، وابتداء من العدد الثالث عشر هذه الآيات المقدسة: " كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام فقربوه قدامه . فأعطي سلطانا ومجدا وملكوتا لتتعبّد له كل الشعوب والأمم والألسنة . سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض . " فمن هو هذا الذي رآه دانيال مع سحب السماء مثل ابن إنسان؟ ابن الإنسان الذي سيقرّب من الله، والذي سيُعطي سلطانا ومجدا وملكوتا لتتعبّد له كل الشعوب والأمم والألسنة؟ وأن سلطانه سيستمر إلى الأبد؟

من الملاحظ أن تعبير ابن الإنسان يرد هنا لأول مرة في العهد القديم من الكتاب المقدس. وهو يشير إلى المخلص المسيح. ولقد استخدم المسيح هذا التعبير للدلالة عن نفسه. فما هو المقصود به يا ترى؟ كما علمنا في اللقاء السابق ، فإن المخلص المسيح هو كلمة الله الأزلي ، ابن الله الذي تجسّد وصار إنسانا . فالمسيح لم يولد من زرع بشري ، بل حُبِل به بحلول الروح القدس في أحشاء العذراء مريم. وهكذا ولد المسيح يحمل طبيعتين الإلهية والبشرية . ولهذا كان المسيح يقول عن نفسه أحيانا أنه ابن الله، نسبة لطبيعته الإلهية . وأحيانا أخرى أنه ابن الإنسان ، نسبة لطبيعته البشرية . وكلا التعبيرين صحيح.

وكنا قد شرحنا ما هو المقصود بتعبير ابن الله . وأنه ليس المقصود به أبدا أن الله تزوج وأنجب ابنا ، حاشا وكلا. بل هو يشير إلى أنه المعبر عن الله وحامل صفاته ، والمتحد معه في الجوهر منذ الأزل. أما تعبير ابن الإنسان ، فهو يؤكد أن المسيح بالرغم من طبيعته الإلهية قد صار إنسانا مثلنا . لكنه إنسان كامل وبلا خطيئة ، إذ لم يولد من زرع بشري. وقد عاش حياة طاهرة بالكلية ، ولم يوجد في فمه غش أو مكر .

لعل السؤال الآن كيف تمّت هذه الرؤيا التي رآها النبي دانيال؟ ومتى أُعطي ابن الإنسان سلطانا ومجدا وملكوتا لتتعبّد له كل الشعوب والأمم؟ جوابا عن هذه التساؤلات نقول: لقد أرسل الله الآب الكلمة الأزلي إلى عالمنا وصار إنسانا ، لهدف القيام بعمل الفداء لجنسنا البشري . وهكذا أتى المسيح كابن للإنسان، فهو آدم الثاني الذي انتصر على الخطيئة. وقدم جسده للتكفير عن ذنوب البشر . ثم قام حيا من بين الأموات ، قاهرا الشيطان ، وداحرا الموت عدو الإنسان اللدود. وبعد قيامته حيا من بين الأموات صعد المخلص المسيح كابن للإنسان إلى السماء. حيث أرى نفسه لله الآب ، مؤكدا له أنه قد أنجز عمل الفداء . فأجلسه الله الآب عن يمينه أي في مركز القوة والسلطان.

وهكذا تحققت رؤيا النبي دانيال التي تحدثت عن ابن الإنسان، وكيف أتى مع سحب السماء وجاء إلى القديم الأيام، أي إلى الله الآب، فقربوه قدامه. وهاهو الرسول بولس من رسل المسيحية الأوائل، يكتب: عن عمل الله الآب " الذي عمله في المسيح إذ أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه في السماويات فوق كل رئاسة وسلطان وقوة واسم يُسمّى ليس في هذا الدهر فقط بل في

المستقبل أيضا. وأخضع كل شيء تحت قدميه." (الرسالة إلى أفسس ١: ٢٠-٢٢) يتضح لنا من هذه الآيات المقدسة ، كيف تحققت رؤيا النبي دانيال، بصعود المسيح حيا إلى السماء. وعندها أجلسه الله الآب عن يمينه، معطيا له كل السلطان والقوة والسيادة، ومخضعا كل شيء تحت قدميه.

لهذا قال المخلص المسيح لتلاميذه، قبل صعوده إلى السماء: " دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ . فَادْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الْأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الْآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ .. وَهَذَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الْأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ . " (بشارة متى ٢٨: ١٨-٢٠) أكد المخلص المسيح لتلاميذه ، أن السلطان الكامل قد أُعطي له كابن للإنسان ، في السماء وعلى الأرض بعد أن أتمَّ عمل الفداء. ولهذا دعاهم لكي يذهبوا ويكرزوا ببشارة الغفران والخلص، ويتلمذوا جميع الأمم. وهذا يفسر لنا الرؤيا النبوءة ، التي رآها النبي دانيال أن السلطان والمجد والملكوت قد أُعطي لابن الإنسان ، أي للمسيح المخلص . والهدف لكي تؤمن به ، وتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة.

وها هو الرسول بولس يكتب في مكان آخر، عن المسيح كابن للإنسان قائلا : " لذلك رفعه الله أيضا وأعطاه إسما فوق كل اسم . لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب." (الرسالة إلى فيلبي ٢: ٩-١١) لقد رفع الله الآب المخلص المسيح. وأعطاه اسما فوق كل اسم، أي أعطاه سلطانا ومجدا وملكوتا، كما جاء في نبوءة دانيال. لكي تتعبد له ولتجثو باسمه كل ركبة، وليعترف كل لسان أن المسيح هو الرب الملك.

ألا تود مستمعي العزيز أن تؤمن بهذا المخلص الفريد ؟ بالفادي المسيح الذي مات وقام، مكتملا عمل الفداء . ثم صعد إلى السماء حيا لكي ينال السلطان والمجد ، وليملك إلى الأبد . وعندئذ لا تتال الغفران عن خطاياك فحسب ، بل تعيش مع المسيح مخلصك إلى الأبد في السماء. وها هو الملاك يخبر النبي دانيال في نبوءة أخرى، عن قيامة الأجساد التي ستحصل عند انتهاء العالم، قائلا له: "وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون هؤلاء إلى الحياة الأبدية وهؤلاء إلى العار للإزدراء الأبدية." (سفر دانيال ١٢: ٢) فهل تتوق أن تنجو من الهلاك الأبدية، وأن تحيا إلى الأبد؟